الباب الثمانون: في ذكر الأمراض والعلل والطب والدواء وما جاء في السنة من العيادة وما أشبه ذلك وفيه فصول

الفصل الأول: في الأمراض والعلل وما جاء في ذلك من الأجر والثواب

روي عن عبد الله بن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أيكم يحب أن يصح جسمه فلا يسقم، فقالوا كلنا يا رسول الله. قال أتحبون أن تكونوا كالحمير الصوالة، ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلايا وأصحاب كفارات، والذي بعثني بالحق نبياً، إن الرجل لتكونن له الدرجة في الجنة فلا يبلغها بشيء من عمله، فيبتليه الله تعالى ليبلغ درجة لا يبلغها بعمله». وقال ﷺ: «ما من مسلم يمرض مرضاً إلا حط الله من خطاياه كما تحط الشجرة ورقها». وكان يقول: لا تزال الأوصاب[1] والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة البيضاء النقية المصفاة. قيل إن الناس قد حُمّوا في فتح خيبر، فشكوا إلى رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس إن الحمى رائد الموت وسجن الله في الأرض وقطعة من النار، فإذا وجدتم ذلك فبردوا لها الماء في الشنان[2] ثم صبوا عليكم بين المغرب والعشاء، ففعلوا ذلك فزالت عنهم». وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: دخل رسول الله ﷺ على شاب وهو في الموت فقال له: كيف تجدك فقال أرجو الله، وأخاف ذنوبي، فقال عليه الصلاة والسلام: «هما لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف». وعن عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة الزاهدة رحمها الله تعالى أنها سمعت رجلاً يقول ما أشد العمى على من كان بصيراً. فقالت له يا عبد الله عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا، والله لوددت أن الله وهب لي كنه معرفته ولم يبق مني جارحة إلا أخذها. وكتب مبارك لأخيه سفيان الثوري يشكو إليه ذهاب بصره فكتب إليه: أما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك، فاذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك والسلام. وقيل لعطاء في مرضه: ما تشتهي؟ قال: ما ترك خوف جهنم في قلبي موضعاً للشهوة. وأصاب ابن أدهم بطن فتوضأ في ليلة سبعين مرة. وقيل لأعرابي في مرضه: ما تشتهي؟ قال: الجنة. فقيل: أفلا ندعو طبيباً؟ قال: طبيبي هو الذي أمرضني.

الفصل الثاني: في ذكر العلل كالبخر والعرج والعمى والصمم والرمد والفالج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة

قيل: تسارر أبخر وأصم فقال له الأصم: قد فهمت ثم فارقه. فسأله رجل فقال والله لا أدري غير أنه فسا في

---

(١) الأوصاب: الأسقام.

(٢) الشنان: القربة.

أذني. وقيل إن عبد الملك بن مروان كان أبخر فعض يوماً على تفاحة ورمى بها إلى زوجته، فدعت بسكين فقال ما تصنعين بها؟ قالت أميط الأذى عنها، فشق عليه ذلك منها فطلقها. وسارر أبو الأسود الدؤلي سليمان بن عبد الملك وكان أبو الأسود أبخر، فستر سليمان أنفه بكمه فعير أبو الأسود وهو يقول: لا يصلح للخلافة من لا يقدر على مناجاة الشيوخ البخر. وقيل طول انطباق الفم يورث البخر، وكل رطب سائل اللعاب سالم منه. وقيل إن الزنج أطيب الناس أفواهاً. والسباع موصوفة بالبخر، والمثل مضروب بالأسد والصقر في البخر، والكلب من بينهما طيب النفس وليس في البهائم أطيب أفواهاً من الظباء:

وحكي أن أبخر تزوج بامرأة فلما ضاجعها عافته وتولت عنه بوجهها ثم أنشدت تقول:

يا حب والرحمٰن إنَّ فاكاً ... أهلكني قولُني قفاكا
إذا غدوتَ فاتخذ مسواكاً ... من عرفط إن لم تجد أراكاً
لا تقربني بالذي سوّاكا ... إني أراك ماضغاً خراكا

وفي ديوان المنثور: كم من ذي عرج في درج المعالي عرج، وكم من صحيح قدم ليس له في الخير قدم. وقيل إن من الصم من يسمع السر، فإذا رفعت إليه الصوت لم يسمعه. ورأيت من العمش من لا ينظر صورة الإنسان من قريب. ولكن يقرأ الخط الرقيق الحواشي. وقيل إن طريفاً الشاعر مدح عمرو بن هدّاب وكان أبرص فلما انتهى إلى قوله: «أبرص فياض اليدين مهذب» صاح به الناس وقالوا: قطع الله لسانك. فقال عمرو: مه إن البرص مما تتفاخر به العرب. أما سمعتم قول سهل حيث قال:

أيشتمني زيدٌ بأن كنت أبرصاً ... وكل كريم لا أبا لك أبرص

وقال:

كفى حزناً أني أعاشر معشراً ... يخوضون في بعض الحديث وأمسك
وما ذاك من عي ولا من جهالة ... ولكنه ما فيّ للصوت مسلك
فإن سدّ مني السمع فالله قادرٌ ... على فتحِهِ الله للعبد أملكُ

ومما جاء في العمى ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: من عدم إحدى كريمتيه ضمنت له على الله الجنة. وكان أبو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام يطعم الطعام وكان أعور، فجعل أعرابي يطيل النظر إليه حابساً نفسه عن طعامه، فكلمه المغيرة في ذلك فقال له: والله إني ليعجبني طعامك وتريني عينك. قال: فما يريبك من عيني؟ قال: أعور وأراك تطعم الطعام وهذه صفة الدجال فقيل له: إن عينه أصيبت في فتح الروم فقال: إن الدجال لا تصاب عينه في سبيل الله. وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: من قاد أعمى أربعين خطوة لم تمسه النار. وقال علي كرم الله وجهه: ربما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده. وقال أبو علس البصير:

لئن كان يهديني الغلامُ لوجهتي ... ويقتادني في السير إذ أنا راكبُ
لقد يستضيءُ القومُ بي في وجوههم ... ويخبو ضياءُ العينِ والقلبُ ثاقبُ

وقال:

إذا عدمت طلابةُ العلم ما لها ... من العلم إلا ما تسطَّرِ في الكُتُبُ

غـــدوتُ بتشميـــرٍ وجـــدٌّ عليهـــمُ ومحبـرتـي سَمْعـي وهـا دفتـري قلبـي

وقال:

إن يـــأخـــذِ مـــن عينـــيّ نـــورهمـــا ففـي لســـانـي وسَمْعـي منهمـا نـورُ
فهمـي ذكـي وقلبـي غيـر ذي غفـلٍ وفـي فمـي صـارمٌ كـالسيـف مشهـورُ

وقال:

عـــزاءك إيهـــا العيـــن السكـــوب وحقـــك إنهـــا نـــوب تنـــوب
وكنـــت كـــريمتـــي وســـراج وجهـــي وكـــانـــت لـــي بـــك الـــدنيـــا تطيـب
علـــى الـــدنيـــا الســـلام فمـــا لشيـــخ ضـــريـــر العيـــن فـــي الـــدنيـــا نصيـب
يمـــوت المـــرء وهـــو يعـــدُّ حيـــا ويخلـــف ظنـــه الأمـــل الكـــذوب
إذا مـــا مـــات بعضـــك فـــابْـــكِ بعضـــا فـــإن البعـــض مـــن بعـــض قـــريـــب

وحكي أن ربيعاً رمدت عينه فأرسل إلى امرأة كان يحبها ثم أنشد يقول:

عينـــا ربيعـــة رمـــداوان فـــاحتسبـــي بنظـــرة منـــك تشفيـــه مـــن الـــرمـــد
إن تكتحـــل بـــك عينـــاه فـــلا رمـــد علـــى ربيعـــة يخشـــى آخـــر الأمـــد

وعن عبد الرحمن بن قيس عن النبي ﷺ أنه قال: «داء الأنبياء الفالج واللقوة». قال الجاحظ: ومن المفاليج سيدنا إدريس عليه الصلاة والسلام وأكثر ما يعتري المتوسطين من الناس، لأن الشباب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس. وقيل إن أبان بن عثمان كان أفلج حتى صار مثلاً، فكانت الناس تقول لا رماك الله بفالج ابن عثمان. وكان معاوية ألوق، وعبد الملك بن مروان أبخر، وحسان أعمى، وابن سيرين أصم. وممن فلج ابن أبي دؤاد قاضي قضاة المعتصم كان من الشرف والكرم بمنزلة عظيمة قد ضرب المثل بفالجه. قال الشاعر في رجل ضرب غلامه:

أتضـــرب مثلـــه بـــالســـوط عشـــراً ضُـــربـــت بفـــالـــج ابـــن أبـــي دؤاد

وشجه عبد الحميد كانت مثلاً في الحسن وهو عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم، وكان بارعاً في الحسن والجمال فزادته حسناً إلى حسنه، حتى أن النساء كن يخططن في وجوههن شجة عبد الحميد. وكان يقال لعمر بن عبد العزيز أشج بني أمية. وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: إن من ولدي رجلاً بوجهه أثر في جبهته. قال أصبغ: الله أكبر هذا أشج بني أمية يملأ الأرض عدلاً. وقال أعور لأبي الأسود: ما الشيء ونصف الشيء ولا شيء. فقال: أما الشيء فالبصير كأنا، وأما لا شيء فالأعمى، وأما نصف الشيء فأنت يا اعور. اللهم أكفنا شر العاهات برحمتك ومَنِّك وكرمك آمين.

الفصل الثالث: في التداوي من الأمرض والطب

قال رسول الله ﷺ: «تداووا فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء». وقال ﷺ: «ما أنزل الله داء إلا وله دواء عرفه من عرفه، وجهله من جهله». وسئل رسول الله ﷺ عن الدواء والرقي هل يردان شيئاً من قضاء الله تعالى قال هما من قدر الله تعالى. وقال عبد الله بن عكرمة عجبت لمن يحتمي من الطعام خوف الداء، ولا يحتمي من الذنوب خوف النار. وقيل

إن الربيع بن خيثم لما مرض قالوا له: ألا ندعو لك طبيباً. فقال لهم إن مرضي من الطبيب وأنه متى أراد عافاني ولا حاجة لي بطبيبكم وأنشد:

فـأصبحـت لا أدعـو طبيبـاً لطبـه ولكنـني أدعـوك يـا منـزل القطـر

وعاد الفرزدق مريضاً فقال:

يـا طـالـب الطـب مـن داء تخـوفـه إن الطبيـب الـذي أبـلاك بـالـداء

فهـو الطبيـب الـذي يـرجـى لعـافيـة لا مـن يـذيـب لـك التـريـاق بـالمـاء

قال ولما مرض بشر الحافي رحمه الله تعالى قالوا ندعو لك طبيباً فقال إني بعين الطبيب يفعل بي ما يريد. فألح عليه أهله وقالوا لا بد أن ندفع ماءك إلى الطبيب. فقال لأخته: إدفعي إليهم الماء في قارورة. وكان بالقرب منهم رجل ذمي وكان حاذقاً في الطب فأتوه بمائه في القارورة. فلما رآه قال: حركوه، فحركوه ثم قال ضعوه، ثم قال ارفعوه، فقالوا له: ما بهذا وصفت لنا. قال: وبم وصفت لكم؟ قالوا بالحذق والمعرفة، قال: هو كما تقولون. غير أن هذا الماء إن كان ماء نصراني فهو راهب قد فتت كبده العبادة، وإن كان مسلماً فهو ماء بشر الحافي فإنه أوحد أهل زمانه في السلوك مع الله تعالى. قالوا: هو ماء بشر الحافي فأسلم النصراني وقطع زناره. فلما رجعوا إلى بشر قال لهم: أسلم الطبيب. فقالوا: ومن أعلمك؟ قال: لما خرجتم من عندي هتف بي هاتف، وقال: يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب وصار من أهل الجنة. وفلج الربيع بن خيثم فقيل له: هلا تداويت؟ فقال: قد عرفت أن الدواء حق ولكن عاد وثمود وقرون بين ذلك كثيراً كانت فيهم الأوجاع كثيرة، والأطباء أكثر فلم يبق المداوي ولا المداوى وقد أبادهم الموت ثم قال هذا المفرد:

هلـك المـداوي والمـداوى والـذي جلـب الـدواء وبـاعـه والمشتـري

وقيل لجالينوس حين نهكته العلة: أما تتعالج؟ فقال: إذا كان الداء من السماء، بطل الدواء من الأرض وإذا نزل قضاء الرب بطل حذر المربوب. ومرّ قوم بماء من مياه العرب فوصف لهم ثلاث بنات متطيبات وهم من أجمل الناس فأحبوا أن يروهن فحكوا ساق أحدهم حتى أدموها ثم قصدوهن فقالوا هذا جريح مريض فهل من طبيب فخرجت صغراهن وهي كأنها الشمس الطالعة فلما رأت جرحه قالت ليس هو بمريض بل خدشه عود بالت عليه حية، فإذا طلعت الشمس مات فكان الأمر كما قالت. وقيل: دواء كل مريض بعقاقير أرضه فإن الطبيعة تتطلع لهوائها. وقالوا: من قدم إلى أرض غير أرضه وأخذ من ترابها وجعله في مائها وشربه لم يمرض فيها وعوفي من وبائها. واحتمى أحمد بن المعدل لعلة أصابته فبرىء فقال: الحمية طالع الصحة لأهل الدنيا تبرئهم من المرض ولأهل الآخرة تبرئهم من النار. وقيل إن الأبدان المعتادة بالحمية آفتها التخليط، والمعتادة بالتخليط آفتها الحمية لأن الحكماء تقول عوّدوا كل جسد بما اعتاد. وكان كسرى أنو شروان يمسك عما تميل إليه شهوته ولا ينهمك عليه. ويقول تركنا ما نحبه لنستغني عن العلاج بما نكرهه. وقال لقمان لا تطيلوا الجلوس على الخلاء فأنه يورث الباسور. وكانت هذه الحكمة مكتوبة على أبواب الحشوش: أي الكنف. وقيل كفى بالمرء عاراً أن يكون صريع[1] مأكله وقتيل أنامله.

فكـم أكلـة أكلـت نفـس حـر وكـم أكلـة جلبـت كـل ضـر

(١) صريع: قتيل.

وقيل: من غرس الطعام أثمره الأسقام. وعن بعض أهل البيت النبوي عليهم السلام أنه كان إذا أصابته علة جمع بين ماء زمزم والعسل واستوهب من مهر أهله شيئاً وكان يقول: قال الله تعالى: «﴿ونزّلْنا من السماء ماء مباركاً﴾[١] وقال تعالى: ﴿فيه شفاء للناس﴾[٢]. وقال عليه الصلاة والسلام: «ماء زمزم لما شرب له» وقال تعالى: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾[٣] فمن جمع بين ما بورك فيه وبين ما فيه شفاء وبين الهنيء والمريء يوشك أن يلقى العافية وقيل خمسة من المهلكات: دخول الحمام على الشبع، والمجامعة على الشبع، وأكل القديد وشرب الماء البارد على الريق، ومجامعة المرأة العجوز. وقال لا تنكح العجوز ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن إخراجه. وقال الإمام علي رضي الله عنه:

تـــوقَّ مـــدى الأيـــام إدخـــال مطعـــم ... على مطعـم مـن قبـلِ هضـمِ المطـاعـمِ
وكـــلُّ طعـــام يعجـــز الســـنُّ مضغَـــه ... فـــلا تقـــربنـــه فهـــو شـــرٌّ لطـــاعـــمِ
ووفِّـــرْ علـــى الجســـمِ الـــدمـــاءَ فـــإنهـــا ... لقـــوةِ جســـمِ المـــرء خيـــرُ الـــدعـــائـــمِ
وإيَّـــاكَ أن تنكـــح طـــواعـــنَ سنِّهـــم ... فـــإن لهـــا سمـــاً كســـمِّ الأراقـــمِ
وفـــي كـــلِّ أسبـــوعٍ عليـــك بقيئـــةٍ ... تكـــن آمنـــاً مـــن شـــر كـــل البـــلاغـــمِ

ومما يورث الهزال، النوم على غير وطاء، وكثرة الكلام برفع الصوت. وقال النظَّام رحمه الله تعالى: ثلاثة تخرب العقل: طول النظر في المرآة، وكثرة الضحك، والنظر إلى النجوم. وفي الحديث: احتجم رسول الله ﷺ في أم مغيث، وهي وسط الرأس، وكان النبي ﷺ يحتجم في الأخدعين، ونهى عن الحجامة في نقر القفا فإنها تورث النسيان، وأمر بالإستنجاء بالماء البارد فإنه أمان من الباسور. وخطب المأمون بمسجد مروان فوجد غالب أهل المسجد يشكون السعال فقال في آخر خطبته: من كان يشكو سعالاً فليتداوَ بالخل ففعلوا فعافاهم الله. وقال بعض الحكماء: إياك أن تطيل النظر في عين أرمد، وإياك أن تسجد على حصير جديدة قبل أن تمسها بيدك فرب شظية حقيرة قلعت عيناً خطيرة. وقيل كانت: الأدوية تنبت في محراب سليمان عليه الصلاة والسلام ويقول كل دواء يا نبي الله أنا دواء لكذا وكذا. وقال جالينوس: البطنة تقتل الرجل وتورث الفالج، والإسهال الذريع، وصنفاً من الجذام، يقال له الفهد لا يسمع صاحبه ولا يبصر. نسأل الله العفو والعافية. وقيل البطنة تورث الصداع، والكمنة في العينين، والضربان في الأذنين والقولنج في البطن. فعليك أيها الإنسان بالطريقة الوسطى، واتق الليل وطعامه جهدك.

وقال جالينوس: الغم المفرط يميت القلب ويجمد الدم في العروق فيهلك صاحبه، والسرور المفرط يلهب حرارة الجسم حتى يغلب الحرارة الغريزية فيهلك صاحبه. وقيل إنه وضع على مائدة المأمون في يوم عيد أكثر من ثلاثين لوناً فكان يصف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضرته فقال يحيى بن أكثم: يا أمير المؤمنين إن خضنا في الطب فأنت جالينوس في معرفته، أو في النجوم فأنت هرمس في صناعته، أو في الفقه فأنت علي بن أبي طالب رضي

(١) سورة: قّ، الآية: ٩.
(٢) سورة: النحل، الآية: ٦٢.
(٣) سورة: النساء، الآية: ٤.

الله تعالى عنه في علمه، أو في السخاء، فأنت حاتم في كرمه، أو في الحديث فأنت أبو ذر في صدق لهجته، أو في الوفاء فأنت السموأل بن عادياء في وفائه. فسر بكلامه وقال: يا أبا محمد إنما فضل الإنسان على غيره بالعقل، ولولا ذلك لكانت الناس والبهائم سواء. وقال طبيب الهند: إن منفعة الحقنة للجسد كمنفعة الماء للشجر. وقال سفيان بن عيينة: أجمع أطباء فارس على أن الداء إدخال الطعام على الطعام. وقالوا: إدخال اللحم على اللحم يقتل السباع في البر. وقيل الشرب في آنية الرصاص أمان من القولنج، وعرض رجل على طبيب قارورته فقال له: ما هي قارورتك لأنه ماء ميت، وأنت حي تكلمني، فما فرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتاً. وقيل: إن ملكاً من الملوك حصل عنده صداع في رأسه فأحضر الطبيب فأمر أن يضع قدميه في الماء الحار وكان عنده خصي فقال: أين القدماء من الرأس؟ فقال له الطبيب: وأين وجهك من خصيتيك نزعتا فذهبت لحيتك.

وقيل: إن المأمون حصل له صداع بطرسوس فأحضر طبيباً كان عنده فلم ينفعه علاجه فبلغ قيصر فأرسل إليه قلنسوة وكتب له: بلغني صداعك فضعها على رأسك يزل ما بك فخاف أن تكون مسمومة فوضعها على رأس القاصد فلم يصبه شيء، ثم إنه أحضر رجلاً به صداع فوضعها على رأسه فزال ما به، فتعجب المأمون، ثم إنه فتحها فوجد فيها رقعة مكتوب فيها: بسم الله الرحمٰن الرحيم كم من نعمة لله تعالى في عرق ساكن، وغير ساكن جمعسق لا يصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمٰن. خمدت النيران ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وقال علي رضي الله عنه: ادهنوا بالبنفسج فإنه حار في الشتاء بارد في الصيف. وقال أيضاً رضي الله عنه: عليكم بالزيت فإنه يذهب البلغم ويشد العصب، ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الغم. وعنه رضي الله عنه: إن لم يكن في شيء شفاء ففي شرطة حاجم أو شربة من عسل. وقال الحجاج لطبيبه: أخبرنا بجوامع الطب فقال: لا تنكح إلا فتاة. ولا تأكل من اللحم إلا فتياً، وإذا تغديت فنم، وإذا تعشيت فامش ولو على الشوك، ولا تدخل بطنك طعاماً حتى تستمرىء ما فيه، ولا تأو إلى فراشك حتى تدخل الخلاء وكل الفاكهة في إقبالها، وذرها في إدبارها. وأوصى حكيم خليفته وصية ووعده إذا لازمها لا يمرض إلا مرض الموت فقال: إياك أن تدخل طعاماً على طعام، ولا تمش حتى تعيا، ولا تجامع عجوزاً ولا تدخل حماماً على شبع. وإذا جامعت فكن على حال وسط من الغذاء، وعليك في أسبوع بقيئة ولا تأكل الفاكهة إلا في أوان نضجها ولا تأكل القديد من اللحم، وإذا تغذيت فنم وإذا تعشيت فامش أربعين خطوة. ونم على يسارك لتقع الكبد على المعدة فينهضم ما فيها وتستريح الكبد من حرارة المعدة ولا تنم على يمينك فيبطىء الهضم ولا تأكل بشهوة عينيك بعد الشبع، ولا تنم ليلاً حتى تعرض نفسك على الخلاء إن احتجت إلى ذلك أو لم تحتج واقعد على الطعام وأنت تشتهيه وقم عنه وأنت تشتهيه. قال بعضهم:

شرهُ النفوس على الجسومِ بليَّةٌ ... فتعوّذوا من كل نفسٍ تشرهُ

ما من فتى شرهَتْ له نفسٌ وإن ... نال الغنى إلا رأى ما يكرهُ

وقال أبو الفيض القضاعي يمدح الفضل وقد فصد:

أرقتَ دماً لو تسكبُ المزن مثله ... لأصبحَ وجهُ الأرض أخضرَ زاهياً

دماً طيباً لو يطلقُ الشرعُ شربَهُ ... لكان من الأسقامِ للناسِ شافياً

الفصل الرابع: في العيادة وفضلها

قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة في ظل العرش: عائد المريض، ومشيع الموتى، وطائع والديه». وفي رواية: ومعزي الثكلى. ومن السنة تخفيف الجلوس في العيادة، مرض بكر بن عبد الله المزني فعاده أصحابه فأطالوا الجلوس عنه فقال: المريض يعاد، والصحيح يزار. قال الشاعر:

يعدن مريضاً هن هيجن داءه ألا إنما بعض العوائد دائيا

وقيل: إذا دخل العواد على الملك فحقهم أن لا يسلموا عليه فيحوجوه إلى رد السلام، ويتعبوه، فإذا علموا أنه لاحظهم دعوا له وانصرفوا. قيل: مرض إنسان فكتب إليه بعض أصدقائه: كشف الله عنك ما بك من السقم، وطهرك بالعلة من الخطايا، ومتعك بأنس العافية وأعقبك دوام الصحة. ومرض إنسان فكتب إليه صديقه:

بإخوانك الأدنين[1] لا بكَ كلُّ ما شكوت إلى القيّام من ألم الوردِ
فكلُّ امرىءٍ منهم بقدرِ احتماله وإن عجزوا عنه تحمَّلتُهُ وحدي

وقال آخر:

بي السوءُ والمكروهُ لا بكَ كلما أرادك كانا بي وكان لك الأجرُ

وقال عبد الله بن مصعب:

ما لي مرضتُ فلم يعدني عائدٌ منكم ويمرضُ كلبُكم فأعودُ

فسمي بعد ذلك عائد الكلاب. وعاد مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه بعض المرضى فقال:

عادَني مالكٌ فلست أبالي بُعْدَ مَنْ عادني ومَنْ لم يعدني

وقال علي بن الجهم:

أراقدَ الليل مسروراً عدمت إذاً عيشي، وأحمد يرعى ليله وصبا[2]
الله يعلمُ أني قد نذرتُ له صيام شهرٍ إذا ما أحمدُ ركبا

وقال آخر:

إذا مرضتم أتيناكم نعودكمو وتذنبون فنأتيكم ونعتذرُ

وقال آخر:

أعاذك الله من أشياء أربعة الموت والعشق والإفلاس والجرب

وقيل: إن حق العيادة يوم بعد يوم أو يوم بعد يومين وعلى الأول قول الشاعر:

---

(١) الأدنين: الأقربون.
(٢) وصباً: مرضاً.

قـالَـتْ مـرضـتُ فعـدتُهـا فتبـرَّمَـتْ فهـي الصحيحـةُ والعليـلُ العـائـدُ
واللهِ لـــو أن القلـــوبَ كقلبهـــا مـا رَقَّ للـولـدِ الصغيـرِ الـوالـدُ

وعلى الثاني قول بعضهم:

حـقُّ العيـادة يـومٌ بعـدَ يـوميـنِ وجلسـةٌ مثـلُ خلسِ اللحـظِ بـالعيـن
لا تبـرمـن عليـلاً فـي مسـاءلـة يكفيـك مـن ذاك تسـآلٌ بحـرفيـن

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور وبها تعظم الأمور. وهذا ما انتهى إلينا من هذا الباب والله الموفق للصواب.